ولقد كرمنا بني آدم..

لم يخلق الله تعالى كائنًا على الأرض أعز وأكرم من الإنسان.. لقد جعله خليفته في أرضه.. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فصارت عزته من عزة الله، وكرامته من كرامته.. ففضّله لذلك على كثير ممن خلق، من أهل الأرض والسموات.. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهذا ما جعل إبليس اللعين يحقد عليه ويتفرغ للكيد له.. ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً..﴾ [الإسراء: ٦٢].

«وبهذا الاستخلاف يكون الإنسان سيد هذه الأرض، ومن أجله خلق الله كل شيء فيها، فهو إذًا أعز وأكرم وأغلى من كل شيء مادي، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعًا، ولا يجوز إذًا أن يُستعبد أو يُستذل لقاء قيمة مادية أو شيء مادي، ولا يجوز أن يُعتدى على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة، ولا أن تُهدر أية قيمة من قيمه لقاء

تحقيق أى مكسب مادى.. فهذه الماديات كلها مخلوقة -أو مصنوعة- من أجله، من أجل تحقيق إنسانيته، ومن أجل تقدير وجوده الإنسانى، فلا يجوز إذًا أن يكون ثمنها هو سلب قيمة من قيمه الإنسانية أو نقص مقوِّم من مقومات كرامته»[1].

ولقد تنوعت مظاهر هذا التفضيل وذلك التكريم، فحُرِّم قتله.. ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا..**﴾ [المائدة: ٣٢]، «**لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها، لأنه كان أول من سن القتل**» [مسلم].

وحُرِّمت إهانته، حيًا أو ميتًا، أيًا كان لونه أو جنسه أو دينه.. «كان النبى ﷺ فى أصحابه، فطلعت جنازة، فلما رآها قام، فقيل له: إنها جنازة يهودى، قال: **أليست نفسًا**» [البخارى].. لأن البشر جميعًا، على الخلافات التى بينهم، خُلقوا من مادة واحدة هى التراب، ومن أب واحد، هو آدم؛ فلمَ إذًا التمييز؟! ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣]..

لا يحق لآدمى أن يهين أخاه، أو يستعبده، أو يذله.. يقول عمر -رضى الله عنه-: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!».

(١) فى ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٨٧م.

لقد كفل المولى -سبحانه- لابن آدم أمرين، هما الرزق والأجل، وبهما يستغنى عن سائر الخلق، فلا يسألهما أحدًا، ولا يستذل نفسه ويصغرها من أجلهما.. يقول النبي ﷺ: «**إن أول ما خلق الله، القلم فقال له: اكتب، قال: رب، وماذا أكتب؟!، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» [أبو داود]، ومن ثَمَّ فلا عذر لمن يمدون أيديهم لغير الله، ولا حجة لمن يخشون انتقاص آجالهم، ظانين أن بإمكان الآخرين أن ينتقصوها يومًا أو يزيدوها ساعة..

لقد كُتبتْ إذًا مقادير كل شيء، ورُفعت الأقلام، وجفت الصحف، وتحدد كلٌ من الرزق والأجل.. ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]، ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً..**﴾ [آل عمران: ١٤٥]..

ولم يبق للإنسان سوى السعي -قدر الطاقة- دون جزع أو هلع، واثقًا مما في خزائن الخالق -جلّ وعلا- غير مستصغر نفسه، أو مقلل من شأنه، موقنًا أن كل شيء بمقدار؛ الضيق والسعة، والبأساء والضراء.. فإن نسي ذلك ولجأ إلى إنسان مثله لا يملك من أمر نفسه شيئًا فقد عصى ربه، وعرّض نفسه للمهانة والاحتقار.. ﴿**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٧].

لقد انحرفت البشرية، بعدما تنكبت صراط الله المستقيم، وزاغت عن سبله الراشدة، فذاقت وبال أمرها.. ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وكان أول الانحراف أن طغى ناسٌ من البشر، واتخذوا من بنى جنسهم طائفة، استذلوهم وجعلوهم عبيدًا لهم.. فجاء الإسلام ليلغى كل أشكال الرق، وليحرِّم الظلم، والطغيان والاستبداد، وليرد الناس إلى أصلهم الذى غاب عنهم.. «**يا أيها الناس، الرب واحد، والأب واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب**» [أحمد]..

لقد نهى النبى ﷺ أصحابه عن القيام إذا دخل عليهم كما يفعل العبيد مع أسيادهم، ونهاهم عن الوقوف على رأسه وهو جالس، ونهاهم عن الانحناء له.. ونهاهم أن يقول أحدهم لمملوكه (عبدى وأمتى)، بل يقول (فتاى وفتاتى)، وعلل ذلك بقوله: «.. **كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله**» [مسلم].

دواؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وإن انحراف النصارى نشأ أول ما نشأ، من تقديسهم لعيسى ابن مريم، والمبالغة فى إطرائه والثناء عليه، حتى ألحقوا به صفات هى من صفات الله، وعيسى -عليه السلام- برىء مما قالوا.. فمازالوا يفعلون ذلك حتى جعلوه إلهًا من دون الله -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-

ولهذا حذر النبى ﷺ من ذلك بقوله: «**لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله**» [البخارى]، وقال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبرى وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» [مالك].

ألا فليعلم الذين يستصغرون أنفسهم أمام الطغاة والمستبدين، أن بتوحيدهم ثلمة، لا يُذهبها إلا التوبة والرجوع عن هذا النوع من الشرك.. لقد تنبه الإنسان الجاهلى الذى تربى على عبادة الوثن، إلى فضل الفطرة التى ترجِّح العقل وتحرِّم العبودية والاسترقاق، فكفر باللات والعزى اللتين ظل يعبدهما لقرون، وأيقن أن الله هو الباقى وأنه هو من يستحق العبادة دون سواه.. يقول زيد بن عمرو بن نفيل، الذى اعتزل عبادة الأصنام فى الجاهلية:

عزلت اللات والعزى جميعًا ... كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمى بنى عمرو أزور

عجبتُ وفى الليالى معجبات ... وفى الأيام يعرفها البصير

بأن الله قد أفنى رجالاً ... كثيرًا كان شأنهم الفجور

ولقد تعاهد أهل مكة، فى الجاهلية، على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه، حتى تُرد عليه مظلمته.. وهذا هو (حلف الفضول)،

الذى أشار إليه النبى ﷺ قائلاً: «**لقد شهدتُ فى دار عبد الله ابن جدعان حلفًا، ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أُدعى به فى الإسلام لأجبتُ**» [البيهقى].

إن أفضل تكريم للإنسان، أن جعله الله عبدًا له، فلا يكون سجوده إلا له، ولا يكون ثناؤه وتسبيحه إلا بأسمائه العلى.. فالعز كل العز فى العبودية لله وحسن طاعته، والذل كل الذل فى الركون إلى البشر، والخوف منهم، وربط الأرزاق والآجال بهم.. عن النبى ﷺ: «**آية العز: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**» [أحمد].

الإسلام يحرِّم الذل

يحرِّم الإسلام الذل، بجميع أشكاله وألوانه، ويبرأ من كل مسلم يقبل العيش على أنقاض العزة والكرامة.. ذلك لأن الجهر بالحق وإنكار المنكر لا يقرِّب أجلا ولا يباعد رزقًا، يقول النبى ﷺ: «**ألا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه، فإنه لا يقرِّب من أجل ولا يباعد من رزق، أن يقال بحق أو يذكَّر بعظيم**» [ابن ماجة].

إن الذى يعطى الدنية فى دينه، لأى سبب، يقع فى دائرة سخط الله، ويعرِّض المجتمع الإسلامى للفتنة والخطر.. والذى يظن أنه يفعل ذلك تقية؛ مخادع ومتقوِّل على الدين ما ليس فيه، فإن المسلم مرفوع الرأس طويل القامة، نزيه.. أما المتردد الطامع فيما فى أيدى الآخرين فلا كرامة له ولا رجولة.

إننا -للعجب- نلمح معانى العزة عند خير الخلق محمد ﷺ فى أوقات عصيبة مرّت به؛ يمكن أن تعطى لصاحبها العذر فى التنازل والمساومة، غير أنه سلك -رغم هذه الظروف القاسية- مسلك الثبات وعزة النفس.. لقد حاول الكفار مساومته على دعوته لكى يجهضوها -بظنهم- فى بدايتها؛ باحتواء زعيمها، إلا أنه أطلق جملته المشهورة

التى تنذر كل مساوم مترخص: «**والله يا عم، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته**» [السيرة النبوية لابن هشام]. . هى إذًا الثقة فى الله، واليقين فى نصرته، وعدم الخوف من البشر ولو اجتمعوا كلهم عليه. . لقد خافت إحدى بناته عليه فى هذا الوقت، فقال بلسان المتوكل على الله: «**يا بنية، لا تخشى على أبيك غيلة[١] ولا ذلة**» [الطبرانى].

لقد أطلق الإسلام -فى أول مجيئه- مبادرة، تضمن سلامة المجتمع من الآفات الاجتماعية والنفسية، وتجعل هذا المجتمع بريئًا من الطبقية والاستبداد. . لقد جعل الرابطة التى تحكم هذا المجتمع هى رابطة الدين والعقيدة، ومن ثم فالمسلمون جميعًا، العربى منهم وغير العربى، يتمتعون بكفالة هذا المجتمع، وحمايته، لا فرق فى ذلك بين صغير وكبير أو غنى وفقير أو أحمر وأسود، يقول النبى ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**» [أبو داود والنسائى]، ويقول ﷺ مؤكدًا مبدأ المساواة بين المسلمين: «**إخوانكم[٢] خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يقل عبدى ولا أمتى، ولكن ليقل فتاى وفتاتى وغلامى**» [متفق عليه].

وليس لمسلم عذر فى المسكنة وطلب الحاجات بذلة ورخاوة، أو بمعصية الله، فإن الذين تُطلب منهم الحاجات لا يملكون قضاء

(١) غيلة: خديعة. (٢) يقصد: الخدم.

حوائجهم؛ فكيف يستطيعون قضاء حوائج غيرهم.. يقول النبى ﷺ: «**إن روح القدس نفث فى روعى: أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته**» [ابن ماجة].

يقول الشيخ محمد الغزالى- رحمه الله-:

«وتحريم الذل بعض ما أوحى بالهجرة إلى المدينة، ومن قبل المدينة إلى الحبشة، ولم يكن الذين أقاموا بمكة إلى حين الهجرة العامة مستكينين إلى ضيم يُراد بهم.. كلا، فقد كانت الكرامة الإسلامية مثلاً فى الأنفة والترفع والاعتزاز، وكانت المبادئ الإسلامية تجعل أصحابها فى الذروة من الروح المعنوية الغلابة.. ولكن المسلمين كانوا قلة فى العدد، وقلة فى المظاهر المادية التى لابد منها للانتصار المادى، ومن ثم استضعفهم أعداؤهم حتى اضطروهم إلى التحول عن وطنهم، فتحولوا تحوُّل العزيز الذى يكره أن يكون ضعفه ذلاً، وتحوُّل الأبى الذى أعوزته أسباب النصر فى ميدان، فذهب يبحث عنها فى ميدان آخر، وتحوُّل المصمم الذى قد يدور فى طريقه مرة ومرة، ولكن عينيه شاخصتان أبدًا إلى هدفهما الفريد...»[(١)].

(١) تأملات فى الدين والحياة، الشيخ محمد الغزالى، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٢م.

والمسلم من أجل عزته وكرامة أمته، يخوض المنايا غير آبه لما يجرى عليه من تصاريف الأقدار، لأنها لا تخرج عن إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، أو التمكين أو العذاب العذب فى سبيل الله... وفى كلتا الحالين فإنه مقدام جسور، مستعين بالله، غير عاجز ولا متشكك.. وهذا عين ما صرح به عبد الله بن رواحة فى مؤتة، عندما رأى ترددًا فى الجيش، قال: «يا قوم، والله إن التى تكرهون للتى خرجتم لها تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فإن يظهرنا الله به فربما فعل، وإن تكن الأخرى فهى الشهادة، وليست بشرٍّ المنزلتين».

إن أفضل المسلمين من يأنف الظلم، ويحاد الظالمين، ومن لا يرضى بخضوع الإسلام واختباء المسلمين.. يقول النبى ﷺ: **«إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»** [أحمد]، ويقول ﷺ: **«ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضى وتابع لم يبرأ»** [مسلم وأبو داود].

أما السائرون فى ركب الظالمين، ممن لا رأى لهم ولا موقف، فأولئك هم الإمعات العاجزون، الخارقون لسفينة الرجولة والخلق الفاضل، يقول النبى ﷺ: **«لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس**

أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» [الترمذى].

والذين يبيعون مروءتهم وكرامتهم، لقاء شهرة، أو منصب، أو دراهم مهما كان عددها؛ هؤلاء يبيعون -فى الحقيقة- دينهم، ويُسخطون ربهم عليهم، يقول النبى ﷺ: **«من جلس إلى غنى فتضعضع عنده لينال مما فى يديه، فقد ذهب ثلثا دينه ودخل النار»** [الطبرانى]، وفى رواية: **«فقد أسخط الله»**.. وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم قال: **«يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»**، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. وكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يأخذ منه شيئًا، فقال عمر: إنى أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم: أنى أعرض عليه حقه من هذا الفىء فيأبى أن يأخذه.

فلم يرزأ حكيم -رضى الله عنه- أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفى» [متفق عليه].

هذا الدين.. يعز أقواماً ويذل آخرين

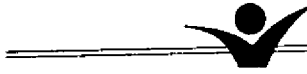

لن تذوق طعم العـز إلا إذا اعتـصمت بهـذا الدين، واطلعت على صفـحاته الهـادية المنجيـة، فالمؤمن كـريم على الله، عزيز بالانتـساب إليه.. لا يهاب أحدًا إلا مـولاه، ولا ينحنى أو يركع لسواه.. هذا ما جاء به الدين وقـامت عليه تلك الأمة الخالدة التليـدة، يقول ابن عطاء الله: «إن أردت أن يكون لك عزٌ لا يفنى، فـلا تستعـزن بعزٍ يفنى».. فمن ظن أن عزته تكون بغـير الدين فقد أخطأ الحساب، واسـتجار بمن يعجز عن إجارته.

وإن يعـتـز بالدنيـا جـهـولٌ ... فكن بالـدين والتـقـوى أعـزا

إذا لم تكسك التقوى ستعرى ... وإن حلَّوك ديبـاجًـا وخـزا

بغيـر الدين يغدو العـيش لفظًا ... بلا معنى، ويمسى الموت لغزا[1]

عن ابن عمر -رضى الله عنهـما- قال: «خطب النبى ﷺ الناس يوم فتح مكة قال: **«يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائهـا، فالناس رجـلان: برٌ تقىٌ كـريم على الله، وفـاجرٌ شـقىٌ هينٌ على الله،**

(١) ديوان (المسلمون قادمون)، د. يوسف القرضاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]» [الترمذى].

● لما توغل المسلمون فى مصر فاتحين، وقفوا أمام حصن بابليون، فرغب المقوقس فى المفاوضة مع المسلمين، فأرسل إليهم وفدًا ليعلم ما يريدون، ثم طلب منهم أن يرسلوا إليه وفدًا، فأرسل عمرو بن العاص عشرة نفر فيهم عبادة بن الصامت -رضى الله عنه- وكان أسود شديد السواد، طويلا.. وأمره عمرو أن يكون هو الذى يتولى الكلام..

فلما وصلوا إلى المقوقس هابه لسواده، وقال لهم: نحُّوا عنى هذا الأسود وقدِّموا غيره يكلمنى.

فقال رجال الوفد: إن هذا الأسود، أفضلنا رأيًا وعلمًا، وهو خيرنا والمقدم علينا، وإنما نرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره.. فقال لهم: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم؟ قالوا: كلا، وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا سابقة، وعقلاً ورأيًا، وليس يُنكر السوادُ فينا.

فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود، وكلمنى برفق، فإنى أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك علىَّ ازددت لك هيبة.

فقال عبادة؛ وقد رأى فزع المقوقس من سواده: إن فى جيشنا ألف أسود، هم أشد سوادًا منى».

إن هذا الطريق -طريق الإسلام- بالصدق وليس بالسبق، فمن أخلص له عاش عزيزًا كريمًا، أعلى الناس رأسًا وأثبت الناس قدمًا ورأيًا.. ومن لم يخلص فقد كرامته وضاعت هيبته، ويكون الذنب ذنبه وليس ذنب الإسلام، فالإسلام لا يعرف الهوان، أو الغثائية، وإنما يربِّى أبناءه على: الحق، والقوة، والحرية..

تقول: ما لبنى الإسلام قد هُزموا ... ولم يسيروا إلى العلياء غير خطا؟!

كأنما تجعل الإسلام متهمًا ... والحق أبلج لا يحتاج كشف غطا

الذنب ذنب بنى الإسلام مذ بعدوا ... عن منهج الله أضحى أمرهم فرطا[1]

وهذا الدين يرفع الله به أقوامًا ويخفض آخرين، يكون الرجل تافهًا لا قيمة له، فيصير بالإسلام بطلا متوهج الذكر، يحار مَنْ حوله فى هذا (الانقلاب) الذى جرى له.. ويكون الرجل زعيمًا فى قومه، لافتًا الأنظار إلى جمال خلقته وحسن منطقه وأبهة منصبه، لكنه لا يساوى عند الملمات وفى نظر من يجيدون تقدير الناس شيئًا.. ثم هو يوم القيامة لا قيمة له.. فى الحديث الصحيح: «**إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة، فلا يزن عند الله جناح بعوضة.. اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: ١٠٥]» [البخارى].

(١) المرجع سابق.

لقد كان للوحي الذى تلقاه المسلمون، كتابًا وسنة، من لدن رب العالمين، الفضل فى ثبات القوم، واعتزازهم بأنفسهم إلى الدرجة التى تحول فيها المملوك الأسود الذى لا يؤبه له، إلى بطل تفر منه الجيوش وتهتز له العروش. . كان عبد الله بن مسعود نحيفًا نحيلاً، فانكشفت ساقاه يومًا -وهما دقيقتان هزيلتان- فضحك بعض الصحابة، فقال الرسول ﷺ: «**أتضحكون من دقة ساقيه؟! والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من جبل أحد**» [أحمد].

لقد تربى هؤلاء القوم على طاعة الله، والاستعانة به، واليقين فى أن النافع الضار هو الله، والاعتقاد بأنه لن يقع على الإنسان إلا ما كُتب له أو عليه. . عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: كنت خلف النبى ﷺ فقال: «**يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» [الترمذى].

● بعث الخليفة هارون الرشيد إلى الإمام مالك، فلما حضر قال له الخليفة: ينبغى عليك أن تتردد علينا؛ حتى يسمع أبناؤنا (الأمين والمأمون) منك الموطأ. فقال الإمام مالك: أعز الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم من بيتكم، فإن أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يؤتى إليه، ولا يأتى إلى أحد.

فقال له الخليفة: صدقت. ثم وجه حديثه إلى ولديه قائلاً: اذهبا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس. فقال الإمام مالك: بشرط أن يجلسا حتى ينتهي بهما المجلس، ولا يتقدما على الناس، فقبل الخليفة ذلك.

ولقد أصاب عمر -رضى الله عنه- كبد الحقيقة عندما قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة من غيره أذلنا الله»..

فكم زالت رياضٌ من رباها ... وكم بادتْ نخيل فى البوادى

ولكن نخلة الإسلام تنمو ... على مر العواصف والعوادى

ومجدك فى حمى الإسلام باق ... بقاء الشمس والسبع الشداد

● ذهب أحد المسلمين سفيرًا إلى بلاد الأعداء، فأرادوا أن يهزأوا به، وأن يذلوه، فصنعوا له دهليزًا، بحيث يدخل إلى الملك وهو راكع، إلا أن الرجل المؤمن فطن إلى حيلتهم، وأثبت لهم أن المسلم لا يعرف الركوع إلا لله، فدخل الدهليز متكئًا على يديه إلى الخلف وقدماه فى وجه الملك، ثم انتصب قائمًا وهو يقول: «علمنا محمد ألا نركع إلا لله».

هكذا المسلم، لا يخفض رأسه، ولا يستكين.. يعيش عزيزًا، ويموت حميدًا..

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست ... جباهنا تربها إلا مصلينا

لا ينزل النصر إلا فوق رايتنا ... ولا تمس الظبا إلا نواصينا

فقبلوا ترب حطين فإن به ... دم البطولة من أيام حطينا

الخوف خوفان.. ممدوح ومذموم

الخوف أمر طبيعي في الإنسان، ولا يستثنى منه أحدٌ حتى الأنبياء.. فهذا إبراهيم -عليه السلام- لما جاءه الضيوف ولم يأكلوا أوجس منهم خيفة.. ﴿قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ..﴾ [هود: ٧٠]، وهذا موسى -عليه السلام- يخرج من مدينته مطارداً خائفًا من فرعون.. ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، وعندما كلفه ربه بلقاء فرعون ومواجهته، أبدى تخوفه وانقباضه.. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ..﴾ [القصص: ٣٣].

أما الخوف المذموم، فهو الذي يدفع المسلم إلى الانهزام، والتخلي عن مبادئه ومعتقداته، ويعطي العدو الفرصة في الاستعلاء عليه، وبث الرهبة في صدره، فيجنح لطلب السلامة والعيش منزويًا منكسرًا، وربما تسلط عليه الظالم -للخنوع الذي فيه- فأجبره على موالاته وتملقه.. فيعيش ذليلاً ويموت ذليلاً.

إن الحرص على الحياة، والبخل والطمع، تنتقص كرامة الرجل، وتجعله يحسب كل صيحة عليه، فيكون منخذل النفس مسلوب الإرادة.. ولو أنه آمن بالقضاء والقدر، وعلم أن ما أخطأه لم يكن

ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، لم يرج إلا الله ولم يخف أحدًا سواه.

يقول النبى ﷺ: «**إنما يُسلَّط على ابن آدم ما خافه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله لم يُسلَّط عليه غيره، وإنما وُكِّل ابن آدم لمن رجا ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله إلى غيره**» [الترمذى]، ويقول ﷺ: «**.. ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا فى سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار**» [أحمد].

«إن المسلم الصادق إسلامه، الحى إيمانه، أبعدُ ما يكون عن الميوعة والسلبية واللامبالاة، لا يتهاون فى قضايا الدين، ولا يتقاعس عن الأمر بالمعروف، ولا يستمرئ المنكر ولا يألفه، ولا يقعد عن إنكاره وتغييره ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فأمور الدين جدٌّ لا هزل فيها، وشئون العقيدة حزمٌ لا هوادة فيها»[1].

لقد ذم الله أقوامًا، منعهم الجبن وقلة المروءة من نجدة إخوانهم وذويهم، ومنعهم حب الحياة من الجهاد والإقدام، ولو فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم، فى الدنيا والآخرة، يقول تعالى متحدثًا عن بنى إسرائيل.. ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ**

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة، د. محمد على الهاشمى، الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية، ١٩٩٣م.

قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

إن الخوف يقتل صاحبه، نفسيًا ومعنويًا، ويستلب رجولته، ويمنعه من تأدية واجبه المفروض عليه، ولهذا شددت السنة النكير على أنصاف الرجال المنخذلين، يقول النبي ﷺ: «**ما من امرئ يخذل مسلمًا في موطن يُنتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته. وما من امرئ ينصر مسلمًا في موطن يُنتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته**» [أبو داود والطبراني].

إن الشجاعة والإقدام واقتحام المخاطر ومواجهة الأعداء، لا تعجل الموت، كما أن القعود والتباطؤ لا يؤجلانه.. ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا**..﴾ [آل عمران: ١٤٥]، إنما تُطلب المعالى بتبنى صفات الرجولة والصبر في مواطن الخطر.. يقول معاوية -رضى الله عنه- لقد هممتُ أن أنهزم يوم صفين، لولا أنى ذكرتُ قول القائل:

أقول لها وقد طارت شعاعًا ... من الأبطال: ويحك لن تراعى

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى

فصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيل الخلود بمستطاعِ

وفى هذا المعنى يقول عنترة:

بَكَرتْ تخوِّفنى الحتوف، كأننى
أصبحتُ عن عرضِ الحتوفِ بمعزل

فأجبتها: إن المنية منهلٌ
لابد أن أسقى بذاك المنهل

أقنى حياءك لا أبًا لكِ واعلمى
أنى امرؤ سأموتُ إن لم أقتل

والمؤمنون لا تخيفهم كثرة الأعداء، أو إمكاناتهم، ولا يفتُّ فى عضدهم حملاتهم الإعلامية التى تهدف إلى تثبيط هممهم وتفريق صفهم وإلحاق الهزيمة النفسية بهم، ذلك لأنهم برئوا من النفاق وخلصت قلوبهم لله، فصاروا يرون أعداد الأعداء وإمكاناتهم لا كما يراها المنافقون والخالية قلوبهم من الإيمان.. بل يرونهم قلة ويرون إمكاناتهم غنيمة للمسلمين..

● قال رجل من روم العرب لخالد بن الوليد حين قدم إلى الشام مغيثًا لأهل اليرموك: ما أكثر الروم وأقل المسلمين. فقال خالد: ويلك! أتخوفنى بالروم، ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان، لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر (فرسه) بَرَأَ من توجعه وأنهم أضعفوا فى العدد (وكان فرسه قد حفى فى مسيره واشتكى فى مجيئه من العراق، فهزمهم الله على يديه).

هذه ثمار العزة

المؤمن نفسه كريمة، لا يخضع لشهواته، ولا يستذله خوفٌ ولا طمع، حريصٌ على سمعته، وعزته، وعرضه.. يصبر في الضراء، ويشكر في السراء.. وهو ذو قوة نفسية؛ تصغر أمامها جميع القوى المادية.. «وتلك طبيعة الإيمان إذا تغلغل واستمكن، إنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله، فإذا تكلم كان واثقًا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخًا في عمله، وإذا اتجه كان واضحًا في هدفه، ومادام مطمئنًا إلى الفكرة التي تملأ عقله، وإلى العاطفة التي تعمر قلبه، فقلما يعرف التردد سبيلاً إلى نفسه، وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه، بل لا عليه أن يقول لمن حوله.. ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر: ٣٩، ٤٠]..

هذه اللهجة المقرونة بالتحدي، وهذه الروح المستقلة في العمل، وتلك الثقة فيما يرى أنه الحق، ذلك يجعله في الحياة رجل مبدأ متميزًا، فهو يعاشر الناس على بصيرة من أمره، إن رآهم على الصواب تعاون معهم، وإن وجدهم مخطئين نأى بنفسه واستوحى ضميره وحده»[1].

(١) جدد حياتك، الشيخ محمد الغزالي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

● يقول الربيع بن خيثم: «إن الله تعالى قضى على نفسه، أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعـاه أجاب له، وتصديق ذلك في كـتاب الله.. **﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ..﴾** [التغابن: ١١]، **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ..﴾** [الطلاق: ٣]، **﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ..﴾** [التغابن: ١٧]، **﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** [آل عمران: ١٠١]، **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ..﴾** [البقرة: ١٨٦]».

إن حصـول السكينة فى قلب المؤمن نتيـجة طبيـعية لاعـتزاره بالله، وتفويض الأمـور إليه، وساعتهـا يستصغـر كل شىء، وأى شىء، فلا يخاف، ولا يحزن، ولا يقلق، وتملأ الطمأنينة قلبه، فـيستعلى بها على كل أسباب الذلة والانحناء لغير الله..

● لما خـاف أصحاب موسى أن يدركهم فـرعـون فيقتلهم، قال لهم نبـيهـم بثـقـة المؤمن وإيمـان الواثق: **﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** [الشعراء: ٦٢].

● وأصحاب محمد، لما رأوا الأحزاب قالوا: **﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٢٢].

● وخـاف أبو بكر أن يراهما القوم -هو والنبى- وهما فى الغار، فقال له النبى ﷺ: **﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾** [التوبة: ٤٠].

● ووقف نوح متحديًا قومه قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١، ٧٢].

● وفعل هود الأمر نفسه مع قومه.. ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٤- ٥٧].

● وشعيب ضرب المثل فى حسن التوكل على الله، والاعتصام به.. ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

● ومؤمن آل فرعون الذى استبشر بقتله.. ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنزَلْنَا

عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٦- ٢٩].

● ولقد ضرب السعدان (سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج)، المثل فى عزة وثبات من يعزِّر الله، وينصره، ويحب أولياءه.. لما أراد النبى ﷺ أن يصرف الأحابيش عن المدينة فى غزوة الأحزاب، أغرى زعماءهم بالحصول على ثلث ثمار المدينة مقابل الرجوع من حيث أتوا.. فلما علم (السعدان)، دار بينهما وبين الرسول ﷺ الحوار التالى:

- **السعدان:** يا رسول الله، أمرًا تحبه فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به؛ فلابد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا؟

- **النبى ﷺ: بل شىء أصنعه؛ والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم[1] من كل جانب، فأردتُ أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما.**

- **سعد بن معاذ:** يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟!، والله ما لنا

(١) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

- **النبى ﷺ: فأنت وذاك»**(١).

إنها عزة المسلم واستعلاؤه بإيمانه؛ الذى لا يسمح بأن يكون للكافرين أو الظالمين أو المنافقين عليه سبيلاً.. ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ١٤١]، وإنها الكرامة التى تجعل المؤمنين هم الغالبين، المفلحين، وإنه الفضل من الله الذى يكف به أذى الطغاة والظالمين عن الصالحين.. ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فمن أراد جنى ثمار العزة، من إشراق النفس، وعلو الهمة، ورفعة القدر؛ فعليه بسلوك دروبها؛ بالصبر على طول الطريق، وظلمته ووحشته، وبالمضى قدمًا فى طريق الكفاح، معتصمًا بالله، آويًا إلى ركنه الشديد، غير متطلع إلى جيوش الظلام ورايات الخسة والنفاق.

من يتق الله يُحمد فى عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

من استجار بغير الله فى فزع ... فإن ناصره عجزٌ وخذلانُ

فالزم يديك بحبل الله معتصمًا ... فإنه الركن إن خانتك أركانُ

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: د. محمد فهمى السرجانى، المكتبة التوفيقية، (د ت).

تأبى نفس المؤمن العزيزة، أن تقبل الإهانة، أو الضيم، بل هى نفس أبية، ترضى بالموت ولا تقبل النزول إلى مستنقع الخانعين الواهنين.. وهو بذلك يحتمل ما لا يحتمله الآخرون، ويصبر على المحن والشدائد، وفى كل نازلة لا يعطى الدنية فى دينه، ولا تلين له قناة..

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببؤسى ونعمى والحوادث تفعلُ

فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للتى ليس تجملُ

ولكن رحلناها نفوسًا كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فنحملُ

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ... فصحَّت لنا الأعراض والناس هُزَّلُ

ارفع رأسك يا أخى.. فإن الإسلام عزيز منيع

يضيع المسلم، ويصاب بالخور والاستسلام، إذا خلا قلبه من الإيمان، واختلطت عقيدته بشوائب الشرك، بخوفه على أجله ورزقه.. أما المؤمن الراسخ فلا تهتز شخصيته، ولا يكون تابعًا ذليلاً، بل هو ربانى النزعة، لا يضره خذلان الآخرين له، ولا يخشى يومًا غاشمًا جهولا.

لقد تنبه خصوم الإسلام منذ وقت مبكر، إلى كمال شخصية المسلم، واستعلائها على الماديات والضغوط، فحاولوا بشتى الطرق إثناءها عن عزمها ورشادها، حتى استطاعوا -للأسف- فى كثير من بلاد المسلمين «أن يهزوا هذه الشخصية ويزحزحوها عن أصالتها، ويزجوا بها فى حمأة التبعية الفكرية والشعورية والسلوكية، ويعروها من قيم دينها وأخلاقياته، ويفرغوها من المحتوى الربانى الذى به أُخرجت للناس، وبه دخلت التاريخ، وبه كانت شيئًا مذكورًا فى حياة الإنسانية»[1].

ولو تربى المسلم منذ صغره على فهم دقيق للعقيدة الإسلامية، ووثق أن عمره فى هذه الدنيا محدود، وأن رزقه مقدر سلفًا؛ لن تستطيع قوة

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة، مرجع سابق.

على وجه الأرض أن تستذله أو ترغمه على شيء.. إنه قد يقف يومًا موقف المغلوب المجرد من القوة المادية، إلا أنه لا يفارقه شعوره بأنه الأعلى، وينظر إلى غالبه من علٍ مادام مؤمنًا، مستيقنًا أنها فترة، وأن للإيمان كرة لا مفر منها.

● روى الطبرى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: «لما انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد، فبينما هم كذلك، أقبل خالد بن الوليد بخيْل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبى ﷺ: **«اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك، اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر»**، فأنزل الله هذه الآية ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وثاب نفرٌ من المسلمين رماة، فصعدوا الجبل، ورموا خيل المشركين حتى هزموهم».

إنها قصة الصراع بين الحق والباطل.. قد ينتفش الباطل فترةً، ويزهو بنفسه وبالغوغائية التى حوله، لكن بقاءه محدود، وأجله وإن طال قصير؛ مقارنة بأجل الحق الذى تدوم دوله غالب الوقت..

● «سار الباطل يومًا مع الحق، فقال الباطل: أنا أعلى منك رأسًا.

- فقال الحق: أنا أثبت منك قدمًا.

- قال الباطل: أنا أقوى منك.

- قال الحق: أنا أبقى منك.

- قال الباطل: أنا معى الأقوياء والمترفون.

- قال الحق: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

- قال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن.

- قال الحق: ولكن أولادى سيقتلونك ولو بعد حين».

إن الأحق بالعزة هو المسلم، والأحق بالذلة والانكسار هو الكافر، والمنافق، والظالم، والفاسق.. وهؤلاء ليسوا أحق بالأمن والسكن من المؤمن الذى لا يرضى له دينه أن يطيع أحدًا بمعصية خالقه، أو أن يكون لجبار أو فاسد سلطان عليه.. ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠- ٨٢].

● لما حُكم على صاحب الظلال -عليه رحمة الله- بالإعدام، اقترح عليه البعض تقديم التماس يسترحم فيه الظالم ليلغى الحكم، ففوجئ بقوله: «إن الإصبع التى تشهد بالوحدانية فى كل صلاة، تأبى أن

تكتب استرحامًا لظالم»، وقال: «إن حُكمتُ بحق فأنا أرضى حكم الحق، وإن حكمتُ بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل».

● ويروى عن الأستاذ حسن الهضيبى -رحمه الله رحمة واسعة- أنه كان أول من كسر تقاليد الانحناء بين يدى الملك فاروق عند حلف اليمين القانونية التى يؤديها القضاة أمامه قبل تولى مناصب المستشارين؛ إذ كانت دفعته حوالى عشرة، سبقه منهم خمسة لم يترددوا فى الانحناء عند حلف اليمين -رغم تهامسهم بالتذمر من هذا التقليد المهين- حتى إذا جاء دور الهضيبى واهن البنية صامت اللسان، حيث فاجأ الجميع بأن مد يده لمصافحة الملك وأقسم اليمين منتصب القامة مرفوع الجبين، بصورة أنعشت الإباء فيمن بعده، فأدى يمينه قائمًا عالى الرأس وهو يقول لنفسه: إذا شنقوا الهضيبى فليشنقونى بعده!!

وتبعه سائر المستشارين، فصافحوا الملك وأقسموا اليمين دون خضوع أو انحناء[1]».

إن الثبات على المبدأ، ومقارعة الطغاة الحجج والبراهين، يعجلان بتقويض الظلم واستئصال المستبدين.. وهذا هو أساس الخيرية فى هذه الأمة، التى لا تزال تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، رغم ما

(١) مواقف وطرائف من حياة الدعاة المعاصرين، عامر شماخ، دار السعد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

يعتريها من وهن وما يصيبها من ضعف.. «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك» [مسلم].

يا ابن الحنيفة دين الحق، ها هو ذا ... يدعوك، فانهض وشمِّر عاملاً نشطا

واثبت على منهج الإسلام فى ثقة ... مستعليًا يتحدى ضغط من ضغطا

والزم طريق رسول الله فى بصرٍ ... وفى اعتدالٍ، وجانب خلط من خلطا

ولا تبال بقول الناس فيك أذى ... فكم على الله قالوا الزور والشططا

وما أصابك من ضراء فارض، وقل: ... رب احتسبها لنا ذخرًا، لنا فرطا[1]

● لما أُسر خبيب -رضى الله عنه- وقُدِّم إلى القتل، فما زاد على أن طلب من القوم أن يدعوه يصلى ركعتين، فصلاهما كأحسن ما تكون الصلاة، ثم أنشأ بعد الفراغ يقول قصيدته الخالدة، التى منها:

ولستُ أبالى حين أقتل مسلمًا ... على أى جنبٍ كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزعِ

فقالوا يسخرون منه: يا خبيب، أتحب أن محمدًا مكانك نقتله، وأنت بين أهلك؟.. فكان أشد بهم سخرية إذ قال: «والله لو خيرتمونى بين أن أكون بين أهلى وعشيرتى ورسول الله حيث هو تصيبه شوكة، لفضلت أن أُقتل ولا تصيبه هذه الشوكة» [أحمد].

(١) ديوان (المسلمون قادمون)، مرجع سابق.

● وفى العصر الحديث، وجدنا من المسلمين من يرفع رأسه فى وجه الطاغوت، غير هياب بما يسومونه من عذاب، معتزًا بانتسابه إلى الإسلام.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].. لقد وقف المجاهد عمر المختار أمام محققه الإيطالى جرازيانى، وكان عمره وقتها ٧٣ عامًا، معترفًا بحربه ضدهم وتكبيدهم خسائر لا تُحصى، لم ينكر ولم يتلجلج، بل بدا واثقًا من نفسه، ثابتًا على المبدأ -يرحمه الله.

سأله المحقق:

- هل سمعت ما يُنسب إليك من تهم خطيرة؟

- نعم، وسأجيب عنها كلها واحدة واحدة مهما كبرت وخطرت.

وانطلق المختار يقص مأساة ليبيا منذ الاحتلال، والمفاوضات التى دعاه إليها رجال الاحتلال، والوعود الكاذبة والنكث بها، وتكلم عن الظلم والطغيان والاغتصاب وانتهاك الحرمات وتحقير المقدسات..

- هل أنت قائد العصيان ضد إيطاليا؟

- نعم، أنا هو.

- هل حاربت الدولة الإيطالية؟

- نعم حاربتها.

- إنى أكرر السؤال عليك فانتبه لنتائجه: هل حاربت الدولة الإيطالية فتناولت السلاح فى وجه قواتها واشتركت فى قتالها فعليًا؟

- نعم، نعم، نعم.

- كم عدد المعارك التى اشتركت فيها من سنة ١٩١١م حتى اليوم؟

- لا أذكر عددها لأنها كثيرة لا تحصى..

- منذ كم تتولى قيادة العصيان؟

- منذ عشر سنوات.

وعلى هذا المنوال سارت المحاكمة كلها...

وكان جرازيانى قد عرض عليه عفوًا شاملاً لقاء أن يكتب للمجاهدين يدعوهم إلى وقف القتال وتسليم أنفسهم وأسلحتهم للحكومة، فرفض المختار قائلاً: إن هذا العمل لا يرضى ضميرى ودينى.

ثم أُعدم بعد ذلك ثابتًا راسخًا مؤمنًا، رحمه الله تعالى ورضى عنه.

● لقد نظر الفاروق عمر، إلى شاب منكس الرأس، فصاح به: «ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب، فمن أظهر للناس خشوعًا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر للناس نفاقًا إلى نفاق»، وقال لآخر: «ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمرض».

مقومات العـزة

لا يكون الرجل حـرًا، عزيزًا قويًا، إلا إذا تـوافرت فيـه مقـومات الكرامـة والثبـات.. ولن يسـتعلى عـلى الطاغوت إلا إذا حـاز أسس الفضيلة وأركان الخلق القويم.. فيجب على المسلم:

- أن يؤمن إيمانًا مطلقًا بأن الله هو العزيز.. ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وأنـه -وحده- مصـدر هـذه العـزة، وأنـه -سبحانه- أكبر من أى شىء، ومن كل شىء، وأنه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

- ألا ينخـدع بمـا علـيه الكـفـار والطغـاة والظالمـون من قـوة وغنى.. ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]، وأن يوقن أن (عـزتهم) إلى زوال، وأنـهم لا يمـلكون دوام سلـطانهم أو إطـالة أعمارهم، فضلاً عن أن يـهبوها غيرهم.. ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِـزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِـبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْـهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

- ألا يجعل الدنيا أكبر همه، أو مبلغ علمه.. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٧٧]، بل يأخذ منها قدر حاجته، ولا يدعها تستذله؛ فإن من انشغل بمتاعها يصير مطية لها، وهي في الحقيقة لا تستأهل الحرص عليها والجرى وراءها.. عن جابر -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدى أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: **أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟** فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء؛ وما نصنع به؟! قال: **أتحبون أنه لكم؟** قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه، لأنه أسك؛ فكيف وهو ميت؟! فقال: **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**» [مسلم].

ويقول ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له**» [الترمذى].

ويقول الشاعر:

أرى الدنيا لمن هى فى يديه ... همومًا كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

وفى عمر -رضوان الله عليه- المثل، إذ لم تغره الدنيا يومًا، ولم يغره السلطان فيطمع أن يجعله لبنيه أو لأحد قرابته من بعده، فكان استغناؤه عن زخارف الأبهة والملك، سببًا فى كونه نسيج وحده فى قوة الشخصية وعبقرية النفس حتى هابه الشيطان؛ فكان لا يسلك طريقًا يسلكه عمر!!.. يقول رضى الله عنه «لا أرب لنا فى أموركم، وما حمدتُ الخلافة حتى أرغب فيها لأحد من بيتى، إن كان فيها خير فقد أصبنا منه، وإن كان فيها شر فحسب آل الخطاب أن يُحاسب رجلٌ واحدٌ منهم عن المسلمين جميعًا».

- أن يكون ربانيًا، طائعًا.. ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، غير مصرٍّ على الصغائر، جاعلاً حياته كلها لله.. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فإن الطائع المخلص، المستمسك بحبل الله، لا يخاف إذا خاف الناس، ولا يحزن إذا حزنوا، فيدُ الله فوق يده؛ تضرب له وتنافح عنه، وعين الله تحرسه فلا يمسه همٌ ولا أذى.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣٢].

- أن يكون إيجابيًا، لا يخاف فى الله لومة لائم، غير متردد فى الجهر بالحق، وأن يكون بعيدًا عن خوارم المروءة، ذا نجدة ورجولة، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، دون خوف أو وجل..

عن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقر أحدكم نفسه. قالوا: يا رسول الله؛ كيف يحقر أحدنا نفسه؟!، قال: يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول فىَّ كذا وكذا؟! فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياى كنت أحق أن تخشى**» [أحمد].

وعن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ قال: «**مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا.. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**» [البخارى].

- أن يستحضر فى نفسه -دومًا- معنى الجهاد، وأن يعلم أن تلك هى الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، وأن يكون ملمًا بمتطلباتها، من صدق الانتماء للدين، والاستغناء عن الأعداء وعدم الاعتماد عليهم فى شىء، وأن يكون جاهزًا للتضحية بالغالى والنفيس.. وألا يفوته الجهاد -مادام حيًا- كى لا تلحقه الذلة بسبب تركه.. رُوي عن على -كرّم الله وجهه-: «إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم

الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم.. فمن لم يعرف قلبه المنكر؛ نُكس فجُعل أعلاه أسفله»..

أرواحنا، أموالنا، وجهادنا ... لله تأبى دينه مسلوبا
روموا الحياة مع النجوم كريمة ... نَحُّوا المضاجع أن تضم جنوبا
وابنوا على أسس الفضيلة أمة ... حادت عن الخلق القويم قشيبا
لا البطش يرهبنا ولا جلادهم ... طوبى لمن صدق العزيمة طوبى(١)

- ألا يسأل أحدًا شيئًا، وألا يطلب من أحد رزقًا أو متاعًا.. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وألا يعلق قلبه وبصره بما في أيدى الناس؛ ففى التعفف عزة وكرامة، وعلو منزلة ووقار.. ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة: ٢٧٣]؛ «**.. شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس**» [الحاكم]، أما الطمع وسؤال الآخرين، فيذلان الرجل وينتقصان دينه، ويهلكانه كما أهلكا الكثيرين من قبله.

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك فى الدين
لن يقدر العبدُ أن يعطيك خردلة ... إلا بإذن الذى سوَّاك من طين

(١) ديوان (الصبر والثبات)، للشاعر جمال فوزى، دار الأنصار، ١٩٧٧م.

فلا تصاحب غنيًا تستعز به وكن عفيفًا وعظِّم حرمة الدين

واسترزق الله مما في خزائنه فإن رزقك بين الكاف والنون

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

«إن من أخطر الأمراض التي تصيب الداعية والدعاة والجماعة المؤمنة، تعلق النفوس بالدنيا؛ ذلك لأن هذا المرض يفتك بالفرد والجماعة ويهلكهما، إذ هو يفرق بين الأحبة، ويباعد بين الأصدقاء، ولهذا حذر رسول الله ﷺ أصحابه من التعلق بالدنيا، والتنافس عليها، فتهلكهم كما أهلكت الذين من قبلهم، قال رسول الله ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتُنافسوها كما تَنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**» [متفق عليه]»[1].

(١) الابتلاء والمحن في الدعوات، د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٠م.